

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إجلال شيخ الإسلام لشيخ النحاة !!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه بعض عبارات الثناء والتقدير التي حَلَّى بها شيخ الإسلام ابن تيمية شيخ النحاة سيويه، بأساليب متنوعة، منها ذكره اسمه في مسرد رؤساء العلوم مقرونا بالأئمة، منظوما مع الكبار في سلك رفعة الشأن والنباهة، واحتجاجه به في معرض المحاجة والمباحثة، ومنها تنويهه بكتابه ووضعه إياه في مرتبة لا يزاومه فيها مصنف في هذا الفن.

وهذه النصوص توضح بجلاء أن القصة المشهورة بين شيخ الإسلام ابن تيمية وبين أبي حيان النحوي لا تترجم النظرة الحقيقية لشيخ الإسلام في شيخ النحاة، ولا يسوغ التمسك بها مقابل ما يكرره - والتكرير يقتضي التقرير - في كتبه ورسائله من تعظيم سيويه وكتابه، ومن ضمن كتبه التي نوه فيها بمكانة كتاب سيويه كتاب النبوات الذي رجح محققه الشيخ الدكتور: عبد العزيز بن صالح الطويان أنه آخر ما ألفه^(١).

وقد قعد شيخ الإسلام قاعدة حسنة كان هو ممن تشملهم، فقال: "بل كتاب سيويه في النحو إذا فهمه الإنسان كان لسيويه في قلبه من الحرمة ما لم يكن قبل ذلك"^(٢).

ومعلوم أنه ممن فهم الكتاب وانتفع به، وارتضع من محض درره ما كان له أحسن الأثر في تكوينه العلمي، وقد ورد في ترجمته أنه قرأ العربية على بعض شيوخه، وأخذ يتأمل كتاب سيويه حتى فهم في النحو^(٣).

فكان حريا أن يستكن في صدره لسيويه من الحرمة والإجلال ما يليق لمثله من مثله، وكذلك كان.

والنصوص التالية جمعتها من مجموعة "كتب ابن تيمية" في برنامج المكتبة الشاملة، أشكر القائمين عليها شكر الروابي الهامدة للمزن الهاملة!!

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فلو قال قائل: إن هارون ويوشع وداود وسليمان كانوا أنبياء، وموسى لم يكن نبيا، أو أن داود وسليمان ويوشع كانوا أنبياء، والمسيح لم يكن نبيا، أو قال ما تقوله السامرة: إن يوشع كان نبيا، ومن بعده كداود وسليمان والمسيح لم يكونوا أنبياء، أو قال ما يقوله اليهود: إن داود وسليمان وأشعيا وحبقوق ومليخا وعاموص ودانيال كانوا أنبياء، والمسيح بن مريم لم يكن نبيا، كان هذا قولاً متناقضا معلوم البطلان، فإن الذين نفى هؤلاء عنهم النبوة أحق بالنبوة وأكمل نبوة ممن أثبتوها له، ودلائل نبوة الأكمل أفضل، فكيف يجوز إثبات النبوة للنبي المفضول دون الفاضل؟ وصار هذا كما لو قال قائل: إن زفر وابن القاسم والمزني والأثرم كانوا

فقهاء، وأبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد لم يكونوا فقهاء، أو قال: إن الأخفش وابن الأنباري والمبرد كانوا نحاة، والخليل وسيبويه والفراء لم يكونوا نحاة^(٤).

٢- وقال: فإن العرب لم يعرف عنهم أنهم استعملوا لفظ الكلمة والكلام إلا في الجملة التامة، وهكذا نقل عنهم أئمة النحو كسيبويه وغيره^(٥).

٣- وقال: فإن الرسل قد جاءوا من العلم والبيان في الأمور الإلهية ما يكون في حكمة اليونان معه من جنس نسبة طب العجائز إلى طب أبقرات، أو من جنس نسبة ملححة الإعراب إلى كتاب سيبويه^(٦).

٤- وقال: ومما يبين ما تقدم ما ذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو: أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قولاً^(٧).

٥- وقال: وقد يكون المنصوب على التمييز معرفة، وهذا لم يعرفه البصريون ولم يذكره سيبويه وأتباعه^(٨).

٦- وقال: والمبرز في فن من الفنون يقدر على ما لا يقدر عليه أحد في زمنه، وليس هذا دليلاً على النبوة؛ فكتاب سيبويه مثلاً مما لا يقدر على مثله عامة الخلق، وليس بمعجز؛ إذ كان ليس مختصاً بالأنبياء، بل هو موجود لغيرهم. وكذلك طب أبقرات^(٩).

٧- وقد يأتي بها لا يمكن معارضته، وليس بأية لشيء؛ لكونه لم يختص بالأنبياء، وقد يُقال في طب بقراط ونحو سيبويه أنه لا نظير له^(١٠).

٨- وقال: ثم نبوة عين هذا النبي تكون ظاهرة؛ لأن الذي جاء به أكمل مما جاء به جميع الأنبياء، فمن أقرّ بجنس الأنبياء، كان إقراره بنبوة محمد في غاية الظهور أبين مما أقرّ أن في الدنيا نحاة، وأطباء، وفقهاء، فإذا رأى نحو سيبويه، وطب أبقرات، وفقه الأئمة الأربعة، ونحوهم، كان إقراره بذلك من أبين الأمور^(١١).

٩- وقال: فكان خضوع عمر هذا الذي هو أفضل الأولياء المحدثين الملهمين المخاطبين لأبي بكر الصديق كخضوع من رأى غيره من مشاركيه في فنه أكمل منه، كخضوع الأخفش لسيبويه، وزفر لأبي حنيفة، وابن وهب مالك ونحو ذلك^(١٢).

١٠- وقال: وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم، كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم^(١٣).

١١- وقال: وكذلك " النحاة " مثل سيبويه الذي ليس في العالم مثل كتابه، وفيه حكمة لسان العرب^(١٤).

- ١٢- وأما توهمهم أن متأخري كل فن أحذق من متقدميه؛ لأنهم كملوه فهذا منتقض أولاً: ليس بمطرّد فإن كتاب سيويه في العربية لم يصنف بعده مثله^(١٤).
- ١٣- وقد ذكر ذلك سيويه "حكيم لسان العرب"^(١٥).
- ١٤- وقال: ويستدل بعدم الاهتداء به على عدم الإيمان والتقوى كما يقال: المتعلمون لكتاب بقراط هم الأطباء وإن لم يكونوا أطباء قبل تعلمه، بل بتعلمه، وكما يقال: كتاب سيويه كتاب عظيم المنفعة للنحاة وإن كانوا إنما صاروا نحاة بتعلمه^(١٦).

-
- (١) النبوات لابن تيمية (٩١/١) .
- (٢) بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣٣٣/٨) .
- (٣) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، (ص : ١٩) .
- (٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ، ت الأملعي (٢٨٤/٢) وما بعدها .
- (٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ، ت الأملعي (١٩٠/٤) .
- (٦) الصفدية (٣٢٥/٢) .
- (٧) العبودية (ص : ١٤٠) .
- (٨) المسائل والأجوبة (ص : ٢١٥) .
- (٩) النبوات لابن تيمية (١٧٢/١) .
- (١٠) النبوات لابن تيمية (١٧٤/١) .
- (١١) النبوات لابن تيمية (٢٠٢/١) .
- (١٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص : ١٧٢) .
- (١٣) مجموع الفتاوى (٨٨/٧) .
- (١٤) مجموع الفتاوى (٤٦/٩) .
- (١٥) مجموع الفتاوى (٣٧٠/١١) .
- (١٦) مجموع الفتاوى (٤٦٠/١٢) .